مقصد التزكية في السنّة النبوية دراسة دعوية

رائد بن فؤاد باجوري

عضو هيئة تدريس بقسم الدعوة بجامعة أم القرى

Email: rfbagory@uqu.edu.sa

ملخص

لاشك أن الدعوة إلى الله تعالى من أجل الأعمال والداعية إلى الله تعالى من أحسن الناس قولا كما قال الله تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين)(فصلت – 33). وسيشتمل بحثي على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، أما المقدمة فسأذكر فيها أهمية الموضوع وتساؤلاته ومنهج الباحث وأما التمهيد فتعريف بمفردات البحث، وأما المبحثان : فالمبحث الأول : مقصد التزكية في السنة النبوية فيما يتعلق بالداعية والمدعو . والمبحث الثاني: وسائل التزكية في السنة النبوية. واما الخاتمة ففيها أهم النتائج والتوصيات ولايتوصل إليها إلا بعد إتمام هذا البحث بمشيئة الله تعالى.

المقدمة

أهمية الموضوع:

1- منزلة التزكية في السنة النبوية .

2- الإسهام في إبراز التزكية في السنة النبوية .

3- الدور المهم الذي يقع على عاتق الدعاة إلى الله تعالى ،والأمانة الملقاة على عاتقهم في الاقتداء بمنهج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في جميع الجوانب ومنها التزكية .

مشكلة البحث:تكمن في محاولتها الإجابة عن السؤال الرئيس : ماالمراد بمقصد التزكية في السنة النبوية ؟ ويتفرع من هذا السؤال عدة أسئلة:

السؤال الأول : ما تعريف القصد والتزكية ؟

السؤال الثاني : ما مقصد التزكية في السنة النبوية فيما يتعلق بالدعاة إلى الله تعالى والمدعوين؟

السؤال الثالث : ما هي وسائل التزكية في السنة النبوية ؟

منهج البحث: فقد اتبعت في بحثي هذا المنهج التحليلي ،وهو من مناهج البحث العلمي المعروفة .

إجراءات تطبيق الدراسة :

1- تتبع مايتعلق بالتزكية في السنة النبوية من مظانها.

2- بناء على قواعد المؤتمر في هذا البحث جعلت المراجع التي أنقل منها المؤلف ثم الكتاب ثم الطبعة.

3- عزوت الايات والأحاديث إلى القران الكريم وكتب السنة كل بحسب موضعه.

4- وضعت فهرسا للمراجع وآخر للموضوعات.

وسيشتمل بحثي على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة

أما المقدمة فذكرت فيها أهمية الموضوع وتساؤلاته ومنهج الباحث وأما التمهيد فتعريف بمفردات البحث ،وأما المبحثان:

فالمبحث الأول : مقصد التزكية في السنة النبوية فيما يتعلق بالداعية والمدعو.

والمبحث الثاني : وسائل التزكية في السنة النبوية.

واما الخاتمة ففيها أهم النتائج والتوصيات.

تمهيد :

تعريف بمفردات البحث : مقصد لغة: مقصد مفرد والجمع : مقاصِدُ، والمقْصِدُ موضعُ القَصْد اسم مكان من قصَدَ /قصَدَ إلى /قصَدَ في /قصَدَ لـ :مَقْصِدي مكّة غاية، فحوى[292]

وفي الاصطلاح : مقاصد التشريع العامة، هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمه.[293]

التزكية :

لغة : تدل مادة (زكا) على النمو والزيادة1. قال الراغب: «وأصل الزكاة: النمو الحاصل عن بركة الله تعالى، ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية. يقال: زكا الزرع يزكو: إذا حصل منه نمو وبركة، ومنه الزكاة: لما يخرج الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء، وتسميته بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة، أو لتزكية النفس، أي: تنميتها بالخيرات والبركات، أو لهما جميعا، فإن الخيرين موجودان فيها»[294]

---

[292] – ابن منظور – لسان العرب – مادة ق ص د .

[293] – مقاصد الشريعة الإسلامية – ابن عاشور (251).

[294] – مجموعة علماء – التفسير الموضوعي – 120)

وقد تطلق التزكية على الصلاح، قال الفيومي رحمه الله: «زكا الرجل يزكو إذا صلح وزكيته -بالتثقيل- نسبته إلى الزكاء وهو الصلاح»[295].

المعنى الاصطلاحي:

التزكية: إنها تعني: تطهير النفس من نزعات الشر والإثم، وتنمية فطرة الخير فيها؛ مما يؤدي إلى استقامتها، وبلوغها درجة الإحسان.

وقيل: تخليص النفس الإنسانية من كل ما يتعلق بها من شوائب، ونواقص، وترسيخ الفضائل والقيم النبيلة والأخلاق السامية فيها، وتوجيهها إلى كل ما فيه الخير والصلاح.

لقد نسب الحق سبحانه وتعالى التزكية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه المربي والمزكي لأمته، والمرشد لها إلى طريق الخير، وهذه هي المهمة التي كلفه الله تعالى بها وأمره بأدائها.

قال تعالى(كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) البقرة :١٥١-١٥٢.

وقد اختلف المفسرون في اتصال قوله(كما..) (بما قبلها أو بعدها على قولين: قال العلماء) :(كاف التشبيه تحتاج إلى شيء ترجع إليه:

فقيل: ترجع إلى ما قبلها: والتقدير: لقد حولت القبلة إلى شطر المسجد الحرام لأتم نعمتي عليكم إتماما مثل إتمام نعمتي عليكم؛ بإرسال الرسول صلى الله عليه وسلم فيكم؛ إجابة لدعوة إبراهيم وإسماعيل إذ قالا :(ربنا وابعث فيهم رسولا منهم..) وإن قلنا: إنها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه: أن النعمة في أمر القبلة كالنعمة بالرسالة .وهو تشبيه يدل على عظم شأن تحويل القبلة إلى الكعبة.

وقيل: إن الكاف متعلقة بما بعدها وهو قوله:(فاذكروني أذكركم) :والتقدير :(كما أرسلنا رسولا منكم) يعلمكم الدين القويم، والخلق المستقيم ومنحتكم هذه النعمة فضلًا مني وكرمًا،)ـ (بالشكر عليها)نأ (برحمتي وثوابي، ووجه التشبيه أن النعمة بالذكر جارية مجرى النعمة بإرسال الرسول.

وتبين الآية الكريمة صفات الرسول صلى الله عليه وسلم والتي من بينها التزكية، فعدد هنا خمس صفات هي بمثابة وظائف للرسول، وهي على النحو الآتي:

---

[295] – الفيومي – المصباح المنير – مادة ز ك ا .

الصفة الأولى :(أرسلنا قيكم رسولا منكم) وقوله :(فيكم) متعلق بـــ (أرسلنا) وقدم على المفعول تعجيلًا بإدخال السرور، وقوله :(منكم) في موضع نصب؛ لأنه صفة لقوله :(رسولا) والمخاطبون بهذه الآية الكريمة هم العرب. وفي إرساله الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم وهو منهم نعمة تستوجب المزيد من الشكر؛ لأن إرساله منهم يسبقه معرفتهم لنشأته الطيبة وسيرته العطرة، ومن شأن هذه المعرفة أن تحملهم على المسارعة إلى تصديقه والإيمان به، ولأن في إرساله فيهم وهو منهم شرف عظيم لهم، ومجد لا يعدله مجد؛ حيث جعل سبحانه خاتم رسله من هذه الأمة، ولأن المشهور من حالهم الأنفة الشديدة من الانقياد، فكون الرسول منهم ادعى إلى إيمانهم به وقبولهم لدعوته

فالحق يمن على العرب بأن جعل فيهم رسولًا منهم ليقول مانًا عليهم بذلك، كما من عليهم بجعل القبلة إلى الحرم الآمن الذي قدسوه وكرموه، فالرسول صلى الله عليه وسلم أرسل فيهم وهو منهم، كما قال تعالى(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) التوبة :١٢٨.

فهو فيهم ومنهم، وهو أكثر تأليفًا لقلوبهم، ورعاية لنفوسهم وهو الحق من ربهم

وقد قال كذلك(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) .آل عمران :١٦٤

الصفة الثانية :(يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا)

قال صاحب اللباب: «فيه نعمٌ عليكم عظيمة؛ لأنه معجزة باقية تتأدى به العبادات، ومستفاد منه مجامع الأخلاق الحميدة. وإذا كان المراد بالآيات القرآن، فالتلاوة فيه ظاهرة، وإذا كان المراد بالآيات المعجزات، فمعنى التلاوة لها تتابعها؛ لأن الأصل في التلاوة التتابع، يقال: جاء القوم يتلو بعضهم بعضًا أي بعضهم إثر بعض، وفي هذه الجملة – كما قال الألوسي– إشارة إلى طريق إثبات نبوته عليه الصلاة والسلام ؛ لأن تلاوة الأمي للآيات الخارجة عن طوق البشر باعتبار بلاغتها واشتمالها على الإخبار بالمغيبات والمصالح التي ينتظم بها أمر المعاد والمعاش؛ أقوى دليل على نبوته.

الصفة الثالثة: (وَيُزَكِّيكُمْ) قال ابن كثير» :أي: يطهرهم من رذائل الأخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية من وأد البنات، وقتل الأولاد؛ تخلصًا من النفقة، وسفك الدماء لأوهن الأسباب، ويغرس فيها فاضل الأخلاق وحميد الآداب. وبهذه الزكاة التي زكوا بها أنفسهم فتحوا الممالك الكبرى، وكانوا أئمة الأمم التي كانت تحتقر هذا الجنس،

وعرفوا لهم فضلهم بعدلهم وسياستهم للأمم سياسة حكيمة أنستهم سياسة الأمم التي قبلهم، وجعلت لذلك الدين أثرًا عميقًا في نفوسهم، فدانوا لحكمه خاضعين، واهتدوا بهديه راشدين

فالتزكية تطهير النفس؛ لأن في أصل خلقة النفوس كمالات وطهارات تعترضها أرجاس ناشئة عن ضلال أو تضليل، فتهذيب النفوس وتقويمها يزيدها من ذلك الخير المودع فيها.

»إن الإسلام كما جاء بالتوحيد الماحي للشرك، جاء بالتهذيب المطهر من سفاسف الأخلاق وقبائح العادات والمعاصي التي كانت منتشرة بين العرب، فقد كانوا يئدون بناتهم -يدفنونهن أحياء- ويقتلون أولادهم للتخلص من النفقة عليهم، وذلك أعلى صور القسوة والشح، وكانوا يسفكون الدماء فيما بينهم لأهون سبب يثير حميتهم الجاهلية؛ لما اعتادوه من البغي في الثارات، ومن شن الغارات، ونهب بعضهم بعضًا، وكان من الرذائل أن أحدهم يتزوج زوج أبيه أو يعضلها حتى تفتدي منه، إلى غير ذلك"[296]. وقد زكاهم النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك كله باقتدائهم بأخلاقه العظيمة في عباداته الكاملة وآدابه العالية، وجمعهم بعد تلك الفرقة، وألف الله بينهم على يديه، حتى صاروا كرجل واحد، وجعلت شريعته ذمتهم واحدة يسعى بها أدناهم، فإذا أعطى مولى أو رقيق لهم أمانا لأي إنسان محارب؛ كان ذلك كتأمين أمير المؤمنين له، فأي تزكية أعلى من هذه التزكية؟

إذًا التزكية هي إحدى وظائف الأنبياء عليهم السلام جميعًا، وقد أدوها خير الأداء دون تقصير أو إخلال، فالنبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة و أدى الأمانة، وبما أن العلماء الذين هم الصف الأول في اتباع الأنبياء، فهم ورثة الأنبياء، والأنبياء عليهم السلام لم يورثوا درهما ولا دينارًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر، إن مهمة التزكية تنتقل إليهم بوفاة الأنبياء[297].

السنّة :

السنّة لغة : السُّنَّة في اللغة: مشتقَّةٌ من سنَّ الشيء: إذا أرسله، قال ابن فارس: «السين والنون أصلٌ واحدٌ مطرد، وهو جريان الشيء واطرادُهُ في سهولة، والأصل قولهم سَنَنْتُ الماءَ على وجهي أسُنُّهُ سَنًّا: إذا أرسلتُه إرسالًا» ، وهي الطريقة والسيرة [298].

[296] – رضا محمد رشيد – تفسير المنار- (2/23).

[297] – مجموعة علماء – التفسير الموضوعي. بتصرف .

[298] – ابن فارس – مقاييس اللغة –3/60).

قال الأزهري رحمه الله : السُّـنَّة: الطريقة المحمودة المسـتقيمة، ولذلك قيل فلان من أهل السُّـنَّة معناه: من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة [299].

أما في اصطلاح المحدثين فهي: ما أُثر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقيَّة أو خُلُقيَّة أو سيرة، سواءً كان قبل البعثة أو بعدها[300].

وفي اصـطلاح الأُصـوليين تُطلق السُّـنَّة "على ما جاء منقولًا عن النَّبي صـلى الله عليه وسـلم من قول أو فعل أو تقرير.[301]

والمقصود في هذا البحث السنة من قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفعله.

المبحث الأول : مقصد التزكية في السنة النبوية فيما يتعلق بالداعية والمدعو

أولا: الرغبة إلى الله تعالى وحسـن العمل والبعد عن أمراض القلوب التزكية ظاهر في دعائه المأثور، فكان من دعائه صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسـل، والجبن، والبخل، والهرم، وعذاب، القبر اللهم آت نفسـي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشـع، ومن نفس لا تشـبع، ومن دعوة لا يستجاب لها[302].«

ومن الأدعية التي يبرز فيها مقصـد تزكية النفس حديث عن عمران بن حصـين رضـي الله عنهما: قال: قال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم لأبي)) :يا حُصَـينُ، كم تَعبُد اليوم إلهًا؟ قال: سـبعة: سِـتَّة في الأرض، وواحدًا في السـماء، قال :فأيهم تعدُّ لرهبتك ورغبتك؟ قال: الذي في السـماء، قال :يا حصـينُ، أمَا إنك لو أسـلمتَ عَلَّمْتُك كلمتين تنفَعَانِك((، قال: فلما أسـلم حُصـين، جاء فقال: يا رسـولَ الله، علِّمْني الكلمتين اللتين وعدتني، قال)) :قل: اللهمَّ ألهِمني رُشدي، وأعِذْني من شرِّ نفسي))[303]

ومن منطلق الحديثين الشـريفين فإنه من الأجدر بالداعية إلى الله تعالى والمدعو أن يكثروا من هذه الأدعية التي فيها سـؤال الله تعالى أن يزكي النفوس ويطهرها مما يعلق بها من حظوظ الدنيا أو أمراض القلوب كالحسـد والحقد والغش –

---

[299] – تهذيب اللغة – (12/72)

[300] نظر: ، طاهر الدمشقي، توجيه النظر ،ص ٣، ابن حجر ٢،اليواقيت والدرر شرح نخبة الفكر / ١٩٣.

[301] – الشاطبي – الموافقات – 3

[302] – مسلم بن الحجاج– صحيح مسلم – حديث رقم (2722).

[303] – أبو عيسى محمد الترمذي – سنن الترمذي– صحيح .

عياذا بالله تعالى – ولاشـك أن الداعية إلى الله تعالى كلما سمت نفسـه وعلت عن الدنايا وأمراض القلوب كلما كانت لدعوته قبولا، ولقوله وعمله ثمرة وفائدة ،ونصح للمدعوين وذكرهم ووعظهم بأهمية تزكية النفس وتطهيرها

وفيه: دَليلٌ على أنَّ الأخلاقَ قدْ تَتبدَّلُ مِن خيرٍ إلى شَرٍّ، ومِن شَرٍّ إلى خَيرٍ.

ثانيا:التخلية والتحلية

من قواعد التزكية المشهورة التي تجلت في النصوص النبوية قاعدة: (التخلية و التحلية)، بمعنى: تخلية النفوس من العيوب والآفات، وتحليتها بالفضائل، والخصال الحسنة، وقد عمل النبي صلى الله عليه وسلم على تخليص أصحابه من أدران الجاهلية، وهذا يعتبر الركن الأول من أركان التزكية، ومن ذلك :

الركن الأول: التخلية:

حديث المعرور بن سويد رضي الله عنه قال: رأيت أبا ذر وعليه حلة وعلى غلامه مثلها. فسألته عن ذلك؟ فذكر أنه ساب رجلًا على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فعيره بأمه، فأتى الرجل النبي – صلى الله عليه وسلم – فذكر ذلك له. فقال النبي – صلى الله عليه وسلم: (إنك امرؤ فيك جاهلية).

والمعنى: قد بقي فيك من اخلاق القوم شيء. كما قال ابن هبيرة رحمه الله تعالى في الإفصاح، وقد وصل أبو ذر رضي الله عنه إلى هذا المقام من التخلي عن كل أمر يمكن أن يوصف بأنه جاهلية، حتى أنه ألبس غلامه حلة كحلته، وهذا يدلنا على الأثر البالغ الذي تركته عبارة التزكية في نفسـه، حين قال له النبي صـلى الله عليه وسـلم: (إنك امرؤ فيك جاهلية).ومن التخلية: النهي عن الغضـب، فهو بوابة للشـرور، ومفتاح للظلم والعدوان، كما في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني، قال :لا تغضب، فردد مرارا، قال :لا تغضب.

ومن التخلية: نزع حب الفواحش، وما اعتادوا عليه من مقارفة الآثام من نفوسهم، كما في مسند أحمد بإسناد صحيح، عن أبي أمامة رضـي الله عنه قال: إن فتى شـابا أتى النبي صـلى الله عليه وسـلم فقال: يا رسـول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه. فقال " :ادنه، فدنا منه قريبا" ، قال: فجلس قال " :أتحبه لأمك؟ " قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال " :ولا الناس يحبونه لأمهاتهم" ، قال " :أفتحبه لابنتك؟ " قال: لا والله يا رسـول الله جعلني الله فداءك قال " :ولا الناس يحبونه لبناتهم" ، قال " :أفتحبه لأختك؟ " قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال : "ولا الناس يحبونه لأخواتهم" ، قال " :أفتحبه لعمتك؟ " قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال " :ولا الناس يحبونه لعماتهم"، قال " :أفتحبه لخالتك؟ " قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال " :ولا الناس يحبونه لخالاتهم" ، قال: فوضع يده عليه وقال " :اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه " قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

فهذا وغيره مما يعزز الركن الأول من التزكية، وهو التخلية من الآفات والأمراض والخبائث، وتطهير النفس من العيوب والآفات المدنسة، وهذا في السنة مما لا يقع تحت الحصر، ومن أبرز ما ورد في السنة المطهرة تخلية النفس عن: (الشرك، والرياء، وحب الجاه، وحب الدنيا، والهوى، والحسد، والكبر، والشح، والغرور، وحب الرياسة، والحمية للنفس، والغضب، والتسويف، والإسراف، والغيبة، والعلو، والطمع، والتقصير)، ولا تخفى النصوص النبوية الواردة في النهي عن هذه الآفات، والحث على تطهير النفس منها، وسبل الهدي النبوي في تخليص الناس منها.

والدعاة إلى الله تعالى من أولى الناس بهذه التخلية وحث المدعوين بالبعد عن الشرك والفواحش وحب الذات والدنيا والملذات واتباع الهوى والتكبر والبحث عن الشهرة، ففي التخلي عن الشرك والتحذير منه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رضي الله عنه : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ ؟ قَالَ : قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لما لا أعلم) صححه الألباني في " صحيح الأدب المفرد. "

و التخلي عن الكبر فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر : بَطَر الحق وغَمْط الناس[304]. "

وعليه فإن الداعية إلى الله تعالى على بصيرة سيجني ثمرة دعوته،ويحقق مرضاة ربه،والمدعو يوم أن يلتزم التخلية ويطهر نفسه وينأى بها عن هذه الشوائب ويلتزم التحلية وهي

الركن الثاني: التحلية بالفضائل، والسمو بالنفس إلى كل خير وعمل صالح، فيدخل في هذا النصوص النبوية الآمرة بكل خير مما يتصل بالإيمان، والعبادة، والأخلاق، فكل هذا هو سلم التزكية، والوصول بالنفس إلى منازل المخلَصين، ودرب الطائعين.

ومن جوامع هذا الباب: حديث أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال» :اتق الله حيثما كنت، وخالق الناس بخلق حسن، وإذا عملت سيئة، فاعمل حسنة تمحها [305] «وقول النبي الله صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس " :إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة " رواه مسلم.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم آثار الذنوب على القلوب والنفوس في تدسيتها، وآثار الطاعات والفضائل في تزكيتها، بمثل مضروب يقرب المعنى بألطف عبارة، كما في صحيح مسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت

---

[304] – مسلم بن الحجاج – صحيح مسلم – حديث رقم (92).

[305] – محمد بن عيسى – سنن الترمذي – صححه الألباني .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول» :تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها، نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز، مجخيا لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، إلا ما أشرب من هواه[306].«

فالداعية إلى الله تعالى يتحلى بالصفات الحميدة من الحلم والأناة والصبر والشجاعة والكرم والتواضع مقتديا بالنبي الأسوة صلى الله عليه وعلى آله وسلم ،فالدعوة تكون بالقول والعمل، وتكون بالأخلاق والإحسان، كما تكون بالتوجيه إلى ما ينفع العبد في الدنيا والآخرة، وكما تكون ببيان محاسن الإسلام وما فيه من الأخلاق العظيمة والصفات الكريمة، تكون أولًا بالأعمال الطيبة، والقدوة الحسنة، والسيرة الحميدة، حتى ينظر المدعو الداعي على خير حال، وحتى يتأسى بأعماله وصفاته وأخلاقه الكريمة قبل أن يسمع كلامه، وحتى يكون الانتفاع بهذا وهذا، بالقول والسيرة الطيبة، وبالإحسان إلى المدعوين.

ثالثا : استشعار القلوب للحاجة إلى الهداية:

عن أبي ذَرّ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي، كُلُّكم ضالّ إلا مَنْ هَدَيتُه، فاسْتَهدُوني أهْدِكم، يا عبادي، كُلُّكم جائع إلا مَنْ أطعمتُهُ، فاستطعِموني أُطْعِمْكم، يا عبادي، كُلُّكم عار إلا مَنْ كَسوْتُه، فاستكْسُوني أكْسُكُمْ، يا عبادي، إنكم تُخطئون بالليل والنهار، وأنا أَغْفِرُ الذُّنوبَ جميعاً، فاستغفروني أغفِرْ لكم، يا عبادي، إنَّكم لن تبلغُوا ضَرّي فتَضُرُّوني، ولن تبلغوا نَفْعي فتنفعوني»[307].

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : «هذا يقتضي أن جميع الخلق مفتقرون إلى الله تعالى في جلب مصالحهم ودفع مضارهم في أمور دينهم ودنياهم وأن العباد لا يملكون لأنفسهم شيئاً من ذلك كله وإن من لم يتفضل الله عليه بالهدى والرزق فإنه يحرمهما في الدنيا ومن لم يتفضل الله عليه بمغفرة ذنوبه أوبقته خطاياه في الآخرة»[308].

فالداعية والمدعو هم بحاجة ماسة إلى كل مايجلب لهم الخير ويطهر نفوسهم ويزكيها ولايكون ذلك إلا بالافتقار والانكسار بين يدي رب الأرض والسماء سبحانه وتعالى وسؤال الله تعالى دائما من فضله ورحمته مايزكي به نفوسهم،ويصلح أحوالهم ويغفر ذنوبهم وزلاتهم.

رابعا: الجمع بين خيري الدنيا والآخرة :

---

[306] – حديث رقم (144)

[307] – مسلم بن الحجاج – صحيح مسلم حديث رقم (2577).

[308] – جامع العلوم والحكم، ص224

عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه: «رَبِّ أَعِنِّي، ولا تُعِنْ عَلَيَّ، وانْصُرْنِي ولا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وامكُرْ لِي ولا تَمكُرْ عَلَيَّ، واهدِنِي ويَسِّرْ الْهُدَى لِي، وانْصُرْنِي على مَن بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجعلْنِي لك شَـــاكِراً، لك ذَاكِراً، لك رَاهِباً، لك مِطْوَاعاً، لك مُخْبِتاً، إليك أَوَّاهاً مُنِيباً، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبتِي، واغْسِـــلْ حَوْبَتِي، وأجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وسَدِّدْ لِسَانِي، واهْدِ قلبِي، واسْلُلْ سَخيمَةَ صَدْرِي»[309].

في هذا الدعاء الجامع سؤال النبي صلى الله عليه وسلم إصلاح أحواله كلها، وتدبير شأنه، وتيسير أمره، واستقامة أعضائه على طاعته، وفي هذا كله صلاح للنفس واستمرار لاستقامتها، وفلاحها في الدنيا والآخرة، وتطهير لها مما يشوبها من أدران الحوبة، ومن أمراض القلوب وسخائم الصدور.

خامسا: تحقيق الهداية والتوفيق:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قال: «كانَ النبيُّ إذا قام إلى الصلاة قال: وَجَّهْتُ وجهيَ للذي فَطرَ السَّمواتِ والأرضَ حَنيفاً، وما أنا مِنَ المشركين، إنَّ صلاتي ونُسُكي ومَحْيَايَ ومماتي للهِ رَبِّ العالمينَ، لا شريكَ لَهُ، وبِذَلِكَ أُمِرتُ وأنا من المسلمينَ، اللهم أَنت المَلِكُ، لا إلهَ إلا أنتَ، أنت ربي، وأنا عبدُكَ، ظَلَمْتُ نَفسي، واعتَرَفْتُ بذنبي، فاغفِر لي ذُنُوبي جميعاً، لا يغفر الذُّنُوبَ إلا أنْتَ، واهدني لأحْسنِ الأخلاقِ لا يَهْدي لأحسنِها إلا أنت، وَاصرفْ عَني سَيِّئَها، لا يصرفُ عني سَيِّئَهَا إلا أنتَ»[310].

وفيه افتقار العبد إلى ربه أن يُصلِح له نفسه ويهديه للخير والحق، فيرشده لأصوب الأعمال والأقوال وأحسن العقائد والأفكار، وأقوم السبل، وأفضل الأصحاب، وأفضل كل شيء عنده، ويوفق العبد للتخلق بأحسن الأخلاق وبكل نافع مفيد له في الدنيا والآخرة.

وطلبا للاختصار فإن مقصد التزكية في السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم كثيرة منها :التخلية والتحلية ،وطلب الهداية والرشاد، وطلب خيري الدنيا والآخرة، والرغبة إلى الله تعالى والبعد عن أمراض القلوب.

المبحث الثاني :وسائل التزكية في السنة النبوية

إن الوسائل المعينة – بعد توفيق الله تعالى للعبد– في تزكية النفس متعددة أذكر منها في هذا البحث مايلي :

أولا: المحافظة على الفرائض، لأنها أفضل طاعة يتقرب بها العبد إلى مولاه والإكثار من النوافل ففي الحديث "وما تقرب إلي عبدي بشـــيء أحب إلي مما افترضـته عليه."[311] ما تَقَرَّبَ إليَّ عَبْدي بشَـــيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افترَضْـــتُه عليه»، أي:

---

[309] – محمد بن إسماعيل – الأدب المفرد– حديث رقم (665)

[310] – مسلم بن الحجاج – صحيح مسلم – حديث رقم (771)

[311] – محمد بن اسماعيل– صحيح البخاري – حديث رقم (6502)

أوجَبْتُه عليه؛ فالصَّلَواتُ الخَمسُ أحَبُّ إلى اللهِ مِن قيامِ اللَّيلِ، وأحبُّ إلى اللهِ مِنَ النَّوافِلِ، وصِيامُ رَمَضانَ أحَبُّ إلى الله من صيامِ الاثنينِ والخميسِ، والأيَّامِ السِّتَّةِ مِن شَوَّالٍ، وما أشبَهَها؛ فالفَرائِضُ أحَبُّ إلى اللهِ وأوكَدُ. «وما يَزالُ عَبْدي يَتقرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافلِ» مع الفرائضِ، كالصَّلاةِ والصِّيامِ، وغيرِهما من أعمالِ البِرِّ والطَّاعةِ التي ليست من الفريضةِ؛ فالنَّوافِلُ تُقَرِّبُ إلى اللهِ، وهي تُكَمِّلُ الفرائِضَ، فإذا أكثَرَ الإنسانُ مِنَ النَّوافِلِ مع قيامِه بالفرائِضِ، نال محبَّةَ اللهِ، فيُحِبُّه اللهُ، وإذا أحَبَّه كان اللهُ سُبحانَه سَمْعَه الَّذي يَسمَعُ به، وبَصَرُه الذي يُبصِرُ به، ويَدَهُ التي يَبطِشُ بها، ورِجْلَه التي يَمْشِي بها، يعني أنَّه يكونُ مُسَدِّدًا له في هذه الأعضاءِ الأربعةِ؛ يُسَدِّدُه في سمعِه، فلا يَسمَعُ إلَّا ما يُرضِي اللهَ، ويُسَدِّدُه في بَصَرِه، فلا يَنظُرُ إلَّا إلى ما يحِبُّ اللهُ النَّظَرَ إليه، ولا ينظُرُ إلى المحَرَّمِ، ويُسَدِّدُه في يَدِه، فلا يعمَلُ بيَدِه إلَّا ما يُرضي اللهَ؛ لأنَّ اللهَ يُسَدِّدُه، وكذلك رِجْلُه، فلا يمشي إلَّا إلى ما يُرضي اللهَ؛ لأنَّ اللهَ يُسَدِّدُه، فلا يسعى إلَّا إلى ما فيه الخيرُ. وإن سأل اللهَ شيئًا فإنَّ اللهَ يعطيه ما سأل، فيكونُ مُجابَ الدَّعوةِ، ولئنِ استعاذ باللهِ ولجأ إليه طلَبًا للحمايةِ، فإنَّ اللهَ سُبحانَه يُعيذُه ويحميه ممَّا يَخافُ.[312]

ثانيا: قراءة القران وتدبره، فهو جلاء القلوب وإذا صفى القلب زكت النفس، ففي الحديث : ((نْ أَبِي مُوسَى الأَشعَرِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولِ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» :مَثَلُ الْمُؤْمِنُ الذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنُ الذي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ لا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الذي يَقْرَأُ الْقُرْآن مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِق الذي لا يَقْرَأ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحُ وَطَعْمُهَا مُرٌّ.«[313]

في هذا الحديثِ دَعوةٌ مِن رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لقراءةِ القرآنِ، وحثٌّ على الانتفاعِ به ظاهِرًا وباطِنًا، ونفعِ النَّاسِ به، وقد ضرَبَ فيه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مَثَلًا يُقسِّمُ فيه الناسَ وعَلاقتَهم بالقرآنِ إلى أربعةِ أقسامٍ: القِسمُ الأولُ: "هو المؤمنُ الذي يَقرَأُ القرآنَ ويَنتفِعُ به، فيَعمَلُ بما يَقرَأُ، ويَنفَعُ عِبادَ اللهِ، وهذا شبَّهه رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بثَمَرةِ الأُتْرُجَّةِ، وهو ثَمَرٌ جامِعٌ لِطِيبِ الطَّعْمِ والرَّائحةِ وحُسْنِ اللَّونِ، ومَنافِعُه كَثيرةٌ. ويُسَمَّى في بَعضِ البُلدانِ بالأُتْرُجِّ، وهو مِنَ الحِمْضيَّاتِ يُشبِهُ اللَّيمونَ، وحَجمُه أكبَرُ من البُرتقالِ، وقِشرتُه مُتعَرِّجةٌ. وأما القِسمُ الثاني: فهو المؤمنُ الذي طاب باطِنُه لثَباتِ الإيمانِ فيه، وقيامِه بالواجباتِ، غيرَ أنَّه لا يَقرَأُ القرآنَ، باستثناءِ الواجبِ منه كالفاتحةِ، فشَبَّهُه رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بالتَّمْرةِ؛ طَعْمُها حُلْوٌ، ولا رِيحَ لها؛ فاشتِمالُه على الإيمانِ

---

[312] – علوي السقاف – الدرر السنية .بتصرف

[313] – محمد بن إسماعيل – صحيح البخاري – حديث رقم (5020)

كاشتِمالِ التَّمرةِ على الحلاوةِ، بجامعِ أنَّ كِلَيهما أمرٌ باطنيٌّ، وعدمُ ظُهورِ رِيحٍ لها يَستريحُ الناسُ لشَمِّه؛ لعَدَمِ ظُهورِ قِراءةٍ منه يَستريحُ النَّاسُ بسَماعِها .وأما القسمُ الثالثُ: فهو المنافقُ الذي يَقرَأُ القرآنَ، ولا يُصلِحُ قلْبَه بالإيمانِ، ولا يَعمَلُ به، ويَتظاهَرُ أمامَ الناسِ أنَّه مُؤمنٌ، فهو من حيثُ تَعطُّلُ باطنِه عنِ الإيمانِ واستراحةُ الناسِ بقراءتِه، مِثْلُ الرَّيحانةِ لها رائحةٌ طيِّبةٌ وطعْمُها مُرٌّ؛ فريحُها الطيِّبُ يُشبِهُ قِراءتَه، وطعْمُها المرُّ يُشبِهُ كُفرَه. وأمَّا القِسمُ الرابعُ: فهو المنافقُ الذي لا يَقرَأُ القُرآنَ، شبَّهه النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم من حيثُ تَعطُّلُ باطنِه عنِ الإيمانِ، وظاهرِه عن سائرِ المنافعِ، وتلبُّسُه بالمضارِّ؛ بالحنظلةِ، حيثُ إنَّها لا رائحةَ لها، وفيها ما فيها منَ المذاقِ المرِّ؛ فانعِدامُ رِيحِها أشبهُ بانعدامِ رِيحِه لعدمِ قِراءتِه، ومَرارةُ طعْمِها شَبيهةٌ بمَرارةِ كُفرِه. وهذه التشبيهاتُ واردةٌ على التقسيمِ الحاصِرِ للنَّاسِ؛ لأنَّ النَّاسَ إمَّا مؤمِنٌ أو غيرُ مؤمِنٍ، والثَّاني إمَّا منافِقٌ صِرفٌ أو مُلحَقٌ به، والأوَّلُ المؤمِنُ إمَّا مواظِبٌ على القراءةِ أو غيرُ مواظِبٍ عليها"[314].

ثالثا: مخالفة النفس والإنكار عليها وعدم اتباع الهوى لأنها داعية للغفلة والعصيان.

أخبر النبي صلى اللهُ عليه وسلم أن اتباع الهوى من المهلكات، روى البزار في مسنده من حديث ابن عباس رضي اللهُ عنهما أن النبي صلى اللهُ عليه وسلم قال: "المهْلِكَاتُ ثَلَاثٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ المرءِ بِنَفْسِهِ[315]" فإن الهوى يهوي بصاحبه إلى أسفل الدركات، وبالهوى تندفع النفوس إلى الشهوات المهلكة والمردية.وأما "الشح المطاع فقد أحضرت النفوس شحَّها :﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾]الحشر: 9]، ومن انقاد لشحِّه فأولئك هم الخاسرون، فإن الشح يحمل على البخل ومنع الحقوق، ويدعو إلى الضرر والقطيعة والعقوق، أمر الشح أهله بالقطيعة فقطعوا، ودعاهم إلى منع الحقوق الواجبة فامتثلوا، وأغراهم بالمعاملات السيئة من البخس والغش والربا ففعلوا، فهو يدعو إلى كل خلق رذيل، وينهى عن كل خلق جميل."[316]

وأما إعجاب المرء بنفسه، فإنه من أعظم المهلكات وفظائع الأمور، فإن العُجب باب إلى الكبر والزهو والغرور، ووسيلة إلى الفخر والخُيلاء واحتقار الخلق الذي هو من أعظم الشرور.

فهذه الثلاث :الهوى المتبع والشح المطاع والإعجاب بالنفس، من جمعها فهو من الهالكين، ومن اتصف بها فقد باء بغضب من الله، واستحق العذاب المهين عياذا بالله تعالى .

---

[314] – الدرر السنية .

[315] – مسند البزار حديث رقم**3366** ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة.

[316] – عبدالرحمن السعدي – موقع الألوكة.

رابعا: محاسبة النفس.

يقول صلى الله عليه وعلى آله وسلم (»الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نفْسَه، وعَمِلَ لما بعدَ الموْتِ، والعاجزُ مَنْ أتْبعَ نَفْسَه هواها، وتمنَّي علَي اللهِ[317].«**الكيس** يعني العاقل الحازم ،ومعنى دان نفسه أي حاسبها،والعاجز أي التارك لما يجب فعله بالتسويف.

يخبرنا النبي ﷺ في هذا الحديث أن الكيس من قهر نفسه وأخضعها لشريعة ربه فهو يحاسبها على كل ما تفعل وما تترك، أما العاجز المقصّر في الواجب فهو ذلك الذي ينقاد لهواه، فنفسه أسيرة شهواته، ويزيده حمقًا تمنيه على الله الأماني الكاذبة، فهو يعلل نفسه بعفو الله ومغفرته وسعة رحمته.

وفي هذا الحديث(:الحثُّ على انتهاز الفرص، وعلى أن لا يضيع الإنسان من وقته فرصة إلا فيما يرضي الله – عزَّ وجلَّ – وأن يدع الكسل والتَّهاون والتمني، فإنَّ التَّمني لا يفيد شيئًا، كما قال الحسن البصري – رحمه الله –: «ليس الإيمانُ بالتَّمنِّي ولا بالتَّحلِّي، ولكن الإيمانُ ما وقرَ في القلبِ وصدَّقته الأعمال». فعلينا أيها الإخوة أن ننتهزَ الفرصةَ في كل ما يُقرِّب إلى الله من فعل الأوامر واجتناب النواهي، حتى إذا قدِمنا علي الله كنَّا علي أكمل ما يكون من حال. نسأل الله أن يعيننا وإيَّاكم علي ذكره وشكره وحسن عبادته)[318]. ويؤكد ابن القيم رحمه الله على ضرورة محاسبة النفس والتفتيش عليها فيما تعمله من الطاعات حتى لا تغتر بالكم على حساب الكيف، يقول رحمه الله: (...فإن من العابدين أناس توفرت هممهم على استكثارهم من الحسنات دون مطالعة عيب النفس والعمل والتفتيش على دسائسها ومحاسبة النفس عليها، ويحملهم على استكثارها رؤيتها والإعجاب بها، ولو تفرغوا لتفتيشها ومحاسبة النفس عليها والتمييز بين ما فيها من الحظ والحق لشغلهم ذلك عن استكثارها، ولأجل هذا كان عمل العابد القليل المراقبة لعمله خفيفاً عليه فيستكثر منه ويصير بمنزلة العادة، فإذا أخذ نفسه بتخليصها من الشوائب وتنقيتها من الكدر وما في ذلك من شوك الرياء وجد لعمله ثقلاً كالجبال وقل في عينه، ولكن إذا وجد حلاوته سهل عليه حمل أثقاله والقيام بأعبائه والتلذذ والتنعم به مع ثقله، وإذا أردت فهم هذا المعنى كما ينبغي فانظر وقت أخذك في القراءة إذا أعرضت عن واجبها وتدبرها وفهم ما أريد بكل آية وحظك من الخطاب بها، وتنْزيلها على أدواء قلبك كيف تدرك الختمة أو أكثرها بسهولة وخفة مستكثراً من القراءة، فإذا ألزمت نفسك التدبر ومعرفة المراد والنظر فيما يخصك منه والتعبد به، وتنزيل دوائه على أدواء قلبك والاستشفاء به لم تكد تجوز السورة أو الآية إلى غيرها، وكذا لو جمعت قلبك كله على ركعتين فأعطيتهما ما تقدر عليه من الحضور والمراقبة لم تكد أن تصلي غيرهما إلا بجهد، فإذا خلا القلب من ذلك عددت

---

[317] – محمد بن عيسى – سنن الترمذي – حديث رقم (2459) – وقال الترمذي : حديث حسن .

[318] – محمد بن عثيمين – شرح رياض الصالحين – (1/507)

الركعات بلا حساب، فالاستكثار من الطاعات دون مراعاة آفاتها وعيوبها دليل على قلة الفقه، ولكن أحب العباد إلى الله الذين يستكثرون من الصالحات مع المراقبة فيها، فقد ندب الله عباده إلى ذلك في قوله: "كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون"[319]

خامسا: بالصبر واليقين تزكو النفوس وتطهر القلوب

فبالصبر ينتصر على شهوات نفسه فيحجزها عن المحرمات ويحبسها على الطاعات، فجانبي التزكية : التخلي والتحلي لا يمكن الحصول عليهما إلا عن طريق الصبر،قال تعالى "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب" "إن الله مع الصابرين" "والله يحب الصابرين" وفي الحديث " **الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ المِيزانَ، وسُبْحانَ اللهِ والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ –أَوْ تَمْلأُ– ما بيْنَ السَّمَواتِ والأرْضِ، والصَّلاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهانٌ، والصَّبْرُ ضِياءٌ، والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ، أوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها، أوْ مُوبِقُها.**".[320]

والصَّبْرُ ضِياءٌ»، والضِّياءُ هو النُّورُ الذي يَحصُلُ فيه نَوعُ حَرارةٍ وإحراقٍ، كضياءِ الشَّمسِ، بخِلافِ القَمَرِ؛ فإنَّه نورٌ مَحضٌ، فيه إشراقٌ بغَيرِ حَرارةٍ، ولما كان الصَّبرُ شاقًّا على النُّفوسِ يَحتاجُ إلى مُجاهدةِ النَّفسِ وحَبسِها وكَفِّها عمَّا تَهواهُ، كان ضياءً؛ فإنَ مَعنَى الصَّبرِ في اللُّغةِ: الحَبسُ، ويُقصَدُ به هنا الوُقوفُ مع البَلاءِ بِحُسنِ الأدَبِ، والصَّبرُ المحبوبُ في الشَّرعِ يَكونُ على طاعةِ اللهِ تَعالَى، والصَّبرُ عن مَعصيتِه، والصَّبرُ على النَّائباتِ وأنواعِ المِكاره في الدُّنيا؛ كلُّ هذا ضياءٌ لصاحبِه، والمرادُ أنَّ الصَّبرَ مَحمودٌ، ولا يَزالُ صاحِبُه مُستضيئًا مُهتَديًا مُستَمِرًّا على الصَّوابِ[321].

وأخبَرَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّ «كلَّ النَّاسِ يَغْدُو» بمَعنَى يُبَكِّر، والغُدُوُّ: السَيرُ أوَّلِ النَّهارِ، «فَبايِعٌ نَفْسَه؛ فَمُعْتِقُها أَوْ مُوبِقُها»، أي: كلُّ إنسانٍ يَسعى بنفسِه إلى طاعةِ اللهِ، فيكونُ مُنقِذًا لها منَ النَّار، أو يَسعَى بنفسِه إلى طاعةِ الشَّيطانِ وهَواه، فَيُهلِكُها بدُخولِها النَّارَ.وأما اليقين فقد قال الله عز وجل: "وجعلنامنهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون."السجدة – 24، ولذلك كان من حصل على هذين المقامين يعد من أئمة الهدى في هذا الدين، قال سفيان رحمه الله تعالى: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين،ولاشك أن اليقين له ثمرات كثيرة ومنها :

1- يورث العبد ذلاً وخضوعًا واستكانة لربه، ويزداد بذلك منه قربًا وحبًّا ورضًا.

2- الإخلاص لله – عز وجل – والمتابعة للرسول – صلَّى الله عليه وسلَّم.

---

[319] – شمس الدين ابن القيم – مدارج السالكين– منزلة المحاسبة .

[320] – مسلم بن الحجاج– صحيح مسلم – حديث رقم (223)

[321] – الدرر السنية .

3- الحذر من الدُّنيا والزُّهد فيها، والصبر على شدائدها، وطمأنينة القلب وسلامته.

4- التزود بالأعمال الصالحة، وأنواع القربات، واجتناب المعاصي، وملازمة التوبة والاستغفار.

5- اجتناب الظلم بشتَّى صوره، فيتذكر العبد الموقف العصيب الرهيب، وأنَّه لا يضيع عند الله شيء؛ كما قال تعالى :﴿ وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾]الأنبياء: 47]، وقوله – تعالى :- ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾]طه: 111.[

6- حصول السكينة والطمأنينة للنفس، والألفة بين الناس وتعارف القلوب وتقاربها.

7- تقصير الأمل،والتأمل في ملكوت الله تعالى وأخذ الدروس والعبر .

الخاتمة :

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث والذي يبحث في مقصد من مقاصد سنة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيما يتعلق بقضية مهمة للنفس البشرية وهي التزكية وعلى اختصاره فقد توصلت إلى عدة نتائج وتوصيات ومن ذلك :

1- التزكية تعني تطهير النفس من الأدران والأوصاف الذميمة وتنميتها بزيادتها بالأوصاف الحميدة وتحليتها بذلك.

2- إن الله سبحانه قد أقسم على فلاح من زكى نفسه وأنها عدوة للإنسان وأن تزكيتها طريق الجنة، وأن في تزكيتها إكمال للإنسان.

3- من مقاصد التزكية في السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم :التخلية والتحلية ،وطلب الهداية والرشاد، وطلب خيري الدنيا والآخرة، والرغبة إلى الله تعالى والبعد عن أمراض القلوب.

4- هناك وسائل تعين الإنسان على التزكية والتي هي مقصد من مقاصد السنة النبوية .

5- من الوسائل المعينة على التزكية الدعاء والصبر واليقين والمحافظة على الفرائض والإكثار من النوافل ومخالفة الهوى .

وأما التوصيات :

1- أوصي الباحثين بالاهتمام بأبحاث علمية تتعلق بتزكية النفس من خلال القران والسيرة النبوية .

2- أوصي باعتماد مادة في التعليم بعنوان (تهذيب النفوس)أو مايكون قريبا منها تدرس للطلاب والطالبات .

3- إقامة الندوات والمحاضرات عن تربية النفس وتزكيتها .

4- أوصي خطباء المساجد بالتركيز في خطبهم على تهذيب النفوس ووعظها والاهتمام بتطهيرها مما يشوبها من حظوظ الدنيا والتعلق بها .

والحمد لله في الأولى والآخرة ...

فهرس المراجع :

- القران الكريم ..
1- القاموس المحيط – مجد الدين محمد الفيروز أبادي-مؤسسة الرسالة – بيروت- ط8 -1426 هـ .
2- الموافقات – إبراهيم بن موسى الشاطبي- دار ابن حزم – بيروت – طبعة 5- 2017
3- تفسير المنار- محمد رشيد رضا – دار المدار – القاهرة – ط 2 .
4- جامع العلوم والحكم – عبدالرحمن بن رجب – مؤسسة الرسالة – بيروت- ط 8 .
5- سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية.
6- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث، تحقيق صدقي محمد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ.
7- سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق كمال الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
8- سنن النسائي: أحمد بن شعيب، تحقيق صدقي العطار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ.
9- شرح رياض الصالحين – محمد بن صالح العثيمين- دار الوطن – الرياض-1426 هـ.
10- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
11- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ.
12- فتح الباري شرح صحيح البخاري-ابن حجر العسقلاني- دار المعرفة – بيروت – ط 1.
13- لسان العرب: جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.
14- مدارج السالكين – شمس الدين ابن قيم الجوزية – مكتبة الرشد – الدمام – ط1- 1426هـ.

المواقع الإليكترونية:

1- موقع الألوكة https://www.alukah.net

2- الدرر السنية https://dorar.net